مجلة العلوم القانونية و الاجتماعية

Journal of legal and social studies

Issn: 2507-7333

Eissn: 2676-1742

دراسة سوسيو تاريخية لعادات وتقاليد المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني (1519–1830م).

Socio's historical study of the customs and traditions of Algerian society during the Ottoman era 1519-1830.

صابري محمد [1]*، فريح لخميسي [2]

[1] جامعة محمد خيضر بسكرة، (الجزائر)، mohammed.sabri@univ-biskra.dz، مخبر التغير الاجتماعي والعلاقات العامة في المجتمع الجزائري

[2] جامعة محمد خيضر بسكرة، (الجزائر)، lekhmissi.fraih@univ-biskra.dz

تاريخ ارسال المقال:2022/09/09	تاريخ القبول: 2022/10/15	تاريخ النشر: 2022/12/01

*المؤلف المرسل

الملخص:

تمثل فترة التواجد العثماني في الجزائر أهم المحطات التاريخية التي كان لها الأثر الواضح في تركيبة المجتمع الجزائري، و ما ميزها من ثراء وتنوع اجتماعي، بدت ملامحه خاصة في العادات والتقاليد، التي عكست ذلك التعايش العرقي والاجتماعي والجغرافي بين السكان المحليين والعناصر الوافدة بتنوع مشاربها من أتراك وأندلسيين وأوروبيين ... وغيرهم. الأمر الذي أكسبهم الكثير من العادات والتقاليد الإيجابية والسلبية منها من جهة. ومن جهة ثانية أثر ذلك التعايش الاجتماعي على التركيبة الاجتماعية للجزائريين سكان المدينة والريف على حد سواء. وهو الموضوع التي تناولته هذه الدراسة التي تهدف إلى إبراز هذا التنوع الاجتماعي ممثلا في العادات والتقاليد وأثرها في الحياة الاجتماعية لسكان المدينة والريف في الجزائر.

الكلمات المفتاحية:العادات ؛ التقاليد ؛ الأتراك ؛ الأوربيون .

Abstract :

The period of the Ottoman presence in Algeria represents the most important historical stations that had a clear impact on the composition of Algerian society, and the richness and social diversity that distinguished it, its features appeared especially in customs and traditions, which reflected the ethnic, social and geographical coexistence between the local population and the expatriate elements with their diversity of Turkish, Andalusian and European ... And others. This has earned them a lot of positive and negative Customs and traditions on the one hand. On the other hand, this social coexistence has affected the social composition of Algerians, both urban and rural residents. This is the topic addressed by this study, which aims to highlight this cultural diversity represented in customs and traditions and their impact on the social life of the inhabitants of the city and the countryside in Algeria.

Keywords: Customs؛ tradition؛ Turks ؛Europeans.

مقدّمة:

شهدت الجزائر عبر العصور تعاقب العديد من الحضارات التي تركت تأثيرها البالغ على مختلف مناحي الحياة لاسيما الجوانب الاجتماعية منها، ولعل من أهم الفترات المميزة في تاريخ الجزائر هي فترة التواجد العثماني في الجزائر والتي استمرت لفترة طويلة من 1519 إلى 1830 كان لها الأثر البالغ على المجتمع الجزائري بكل مكوناته،خاصة في تنوع تركيبته السكانية سواء في المدينة أو الريف بدخول عناصر ومكونات جديدة من ثقافات أخرى حملت معها عاداتها وأسلوب عيشها،فكل هذا التأثير والتأثر بين الجزائريين والعناصر الوافدة أدى إلى اكتساب عادات وتقاليد جديدة والتخلي عن أخرى حسب درجة التعامل والاحتكاك مع بعضها. وهو ما ستحاول معالجته إشكالية الدراسة التي تتمحور في التساؤلات التالية: فيما بدت ملامح تأثير التواجد العثماني في الجزائر على عادات وتقاليد الجزائريين في المدينة والريف؟.

المبحث الأول: العادات والتقاليد

المطلب الأول: تعريف العادات

الفرع الأول: لغة

مفردها كلمة العادة ،وهو كل ما أعتيد عليه حتى صار يفعل من غير جهد والحالة تتكرر على نهج واحد1،أو الديدن يعاد إليه و جمعها عادات وعيد ويقال تعود الشيء وعاده وعاوده معاودة وعوادا واعتاده وأعاده أي صار عادة له[2].

الفرع الثاني: اصطلاحا

والمقصود بها كل ما يكتسبه الفرد من مهارات حركية و نظرية أو في طريقة العمل والتفكير ،تكتسب طابع الآلية مع الوقت بسبب التكرار و التعود مع التميز بالسرعة والدقة في أدائها ،كما تساهم في تكيف الفرد مع بيئته.[3]

المطلب الثاني: تعريف التقاليد

الفرع الأول: لغة

جمع كلمة تقليد، و هي مصدر قلد يقلد تقليدا.جاءت في عدة معاني منها التزييف أي نقل قطعة فنية أو لوحة عن الأصل "تقليد مصاغ"،و بمعنى آخر فهي عادة متوارثة يقلد فيها الخلف السلف، فيقال رجل تقليدي أي متمسك بالقديم، وغير تقليدي أي لا يتقيد بعرف أو عادة.[4]

الفرع الثاني: اصطلاحا

ويقصد بها عناصر الثقافة التي تنتقل بين الأجيال المختلفة، أي هي كل القواعد والسلوكيات المميزة لكل فئة أو جماعة معينة و المنتقلة من الخلف إلى السلف، ويمكن التفريق بين العادات والتقاليد في كون الثانية تعتبر مقدسة لدى المجتمعات المختلفة يصعب التخلي عنها[5].

المبحث الثاني: مكونات المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني

المطلب الأول: الأتراك

ترجع أصولهم إلى منطقة الأناضول بشكل أساسي رغم انتشارهم في عدة مناطق، تواجدوا في الجزائر مع انضوائها تحت السلطة العثمانية،و إرسال السلطان العثماني أولى العناصر من جند الانكشارية [6]والمتطوعين لدعم خير الدين بربوس[7]،قدر عددهم حسب الجاسوس الفرنسي بوتان[8]بعشرة آلاف نسمة سنة 1808 م[9]،ومن المعروف عن هذه الفئة أنهم ينتشرون في المدن والمناطق المأهولة بالسكان ،تمركزت هذه الفئة في المدن الكبرى خاصة الجزائر قسنطينة وعنابه وبسكرة والمدية والبليدة إلا أن مدينة الجزائر تعتبر أهم مدن تواجد العنصر التركي في الجزائر[10]، مع ملاحظة انخفاض أعدادهم خلال الفترة الأخيرة من نهاية الحكم العثماني لصالح المجموعات الألبانية والكريتلية[11]، تركزوا في الحصون والثكنات كحصن القصبة حصن باب الجديد وثكنة الخراطين وكذلك في حاميات المدن الكبرى كعنابة وقسنطينة في الشرق [12]، وقد عرف تواجدهم في الجزائر انخفاضا كبيرا مع نهاية الوجود العثماني بسبب انخفاض المجندين والحروب الداخلية وانتشار الأوبئة،كما نشير إلى فئة أخرى تلحق بالأتراك العثمانيين[13]، ألا وهي فئة الأعلاج ويطلق هذا الاسم على الأوربيين الذين يعتنقون الإسلام ويرتدون عن مسيحيتهم، يحركهم في ذلك الرغبة في الثراء والطموح إلى تولي المناصب العليا، حيث يبقى الدافع الديني ثانويا بالنسبة لهم[14]، تعود أصولهم إلى مختلف البلدان الأوربية خاصة المطلة على البحر الأبيض المتوسط، شكلوا في النصف الأول من القرن 16 م أغلبية رجال البحرية الجزائرية[15].

المطلب الثاني: الكراغلة

تعتبر من بين أهم الفئات في الجزائر العثمانية نشأت نتيجة اختلاط الأتراك والعناصر المحلية ،و بازدياد أعدادها مع الوقت شكلت حلقة وصل بين المجتمع والسلطة الحاكمة[16]، قدر عددهم حسب بوتان بثمانية آلاف فرد ،أما شالر فقدر عددهم بحوالي عشرين ألف بين 1816-1824[17]، ميزهم كثرة العدد وانتشارهم في مختلف المناطق على عكس الأتراك[18]،برزت هذه الفئة بشكل واضح في المناطق التي استقر بها الأتراك بشكل كبير كالجزائر ،قسنطينة ،تلمسان ،المدية ،القليعة، عنابة ....، كما يذكر خليفة حماش أن هذه الفئة استطاعت تولي العديد من الوظائف الإدارية والعسكرية التي لا يحق للأهالي توليها بعيدا عن الوظائف السامية التي حرموا منها[19]، كما شهدت الفترة الأخيرة من التواجد العثماني في الجزائر نوعا من الوفاق بين الأتراك والكراغلة حيث سمح لهم بتولي بعض المناصب العليا في الدولة عكس ما كان سائدا في السابق، كما أن انشغالهم بتنمية أموالهم وفشلهم في إيصال انشغالات الأهالي للسلطة زرع الريبة والخوف بين الطرفين[20].

المطلب الثالث: فئة الحضر

ويقصد بها العناصر التي نشأت في المدن عبر المراحل التاريخية المختلفة، والمتكونة أساسا من العرب والأمازيغ، ازداد عددهم مع وصول العديد من العناصر الوافدة لاسيما الأندلسيين بعد تعرضهم للاضطهاد الديني والتهجير القصري[21]، يشار إلى أن هناك اختلافا بين المؤرخين في إعطاء مفهوم موحد لفئة الحضر، فهناك من يعتبرها فئة برجوازية مثقفة ذات علم ودين ،بينما يعطيها آخرون تعريفا يرتبط بالجانب الاقتصادي أي أنها فئة متحكمة في

النشاط التجاري والحرفي[22]، استطاع الحضر تنمية ثرواتهم وتأسيس طبقة برجوازية ميسورة الحال في المدن التي قطنوها، مع ملاحظه أنهم لم يتدخلوا في أمور الحكم والسياسة إلا في إطار الحفاظ على امتيازاتهم على غرار عائلة ابن الفكون وابن عبد الجليل وابن باديس بقسنطينة، كما يعتبر الأندلسيون من أهم العناصر المكونة لهذه الفئة[23]، مع الإشارة إلى أن تواجدهم بالجزائر مر بثلاث مراحل ،بالنسبة للمرحلة الأولى فهي تمتد من القرن الثامن الميلادي إلى القرن الحادي عشر الميلادي حيث ساهم النشاط التجاري في استقرارهم بشكل كبير، بينما تمتد المرحلة الثانية من القرن الحادي عشر الميلادي إلى غاية سقوط غرناطة (897هـ/1492م) حيث تزايد توافدهم إلى الجزائر مع سقوط قرطبة بلنسية وإشبيلية ..وتوجههم إلى مدن بجاية ،تلمسان ووهران.[24]، أما بالنسبة للمرحلة الثالثة فتمتد من القرن الخامس عشر الميلادي إلى أواخر القرن السابع عشر ميزتها الهجرة الجماعية مع صدور قرار الطرد القصري (1609-1614م) وتوجههم بشكل كبير إلى مقاطعة دار السلطان مما أعطى حركية كبيرة للنشاط الاقتصادي في المقاطعة[25].، كما يذكر Devoux أن لهم الأثر الكبير في إعادة إحياء مدن كشرشال والبليدة وتأسيس أخرى كمدينة القليعة، إضافة إلى مساهمتهم في النشاط الزراعي كغرس أشجار الزيتون والعنب وزراعة القطن في مستغانم والحرير في القليعة ،كما استطاعوا تزويد مدينة الجزائر بالمياه[26]، كما استقر الأندلسيون في مدن بايلك الشرق على غرار مدينة القل حيث يذكر كاربخال أن أكثر من ثلثمائة من سكان هذه المدينة هم من قشتالة والأندلس وبلنسية، كما شبهها بأوربا لتوفر أنواع الفواكه والقمح وخصوبة أراضيها، مما جعل عددهم يزداد في المدينة، إضافة إلى حصولهم على ثروات طائلة من ممارستهم نشاط تربية دودة القز[27]، كما تبوءوا مكانة اجتماعية مميزة مقارنة بالجماعات الأخرى لتمتعهم بثروات طائلة حيث برعوا في الزراعة كما ذكرنا سابقا إضافة إلى الصناعة والتجارة والنشاط البحري، كما تقلدوا مناصب عليا في السلك القضائي والتعليمي [28]، وعلى الرغم من اعتبارهم فترة وجودهم في الجزائر مؤقتة واحتفاظهم بمفاتيح منازلهم على أمل العودة إلا أنهم ساهموا في إثراء الحياة الاقتصادية و الاجتماعية في الجزائر[29].

المطلب الرابع: جماعة البرانية

ويقصد بها الفئات السكانية التي اضطرتها الظروف الاجتماعية والاقتصادية للانتقال من مناطق سكنها إلى المدن الكبرى على غرار الجزائر قسنطينة تلمسان بهدف تحسين أوضاعها، حيث اشتغلت كل مجموعة بأعمال ومهن خاصة بها[30]، ومما يدل على أن جماعة البرانية انتشرت في مختلف المدن الكبرى ولم تكن حكرا على مدينة الجزائر ما ذكره فيرو فيما يخص قسنطينة وانتشار مختلف الحرف والمهن التي مارستها جماعة البرانية تحت إشراف أمين خاص بها وهو ما ميز الحركية الكبيرة التي شهدتها أسواق قسنطينة وانتشار مختلف السلع نذكر على سبيل الذكر لا الحصر تجارة الملابس الصوفية والمعروفة في منطقة القبائل، إضافة إلى تجارة البرنوس بمختلف أنواعه والقادم من منطقة الصحراء[31].

وهو ما يبين لنا الأهمية الكبيرة التي لعبها بايلك قسنطينة كمنطقة جذب لجماعة البرانية للعمل على تحسين مستواها الاقتصادي والاجتماعي باعتباره من أهم البايلكات خلال العهد العثماني ، بالمقابل كان لهذه الفئة دور كبير في دعم الحركية الاقتصادية في البايلك بممارستهم لمختلف المهن والنشاطات حيث اختصت كل جماعة بمهن معينة .

الفرع الأول: جماعة الميزابيون

يرجع أصلهم إلى قبائل بربرية[32]، وهم سكان غرداية وبني يزقن وبريان إضافة إلى سكان بني ميزاب ومناطق شعانبة وورقلة ممن يتبعون المذهب الإباضي[33]، امتهنوا عدة نشاطات اقتصادية كالعمل في الحمامات والمقاهي كما اشتهروا بمهنة بيع اللحوم [34] ،كما يذكر فيرو أنهم مارسوا عدة نشاطات تجارية وحرفية في قسنطينة مثل الطبخ وبيع الخضراوات والعجائن[35]،استطاعوا اكتساب ود العثمانيين مما سهل عليهم ممارسة الأنشطة الإقتصادية المختلفة و جمع ثروات طائلة، أما من الناحية الاجتماعية فقد احترمت السلطة الحاكمة الخصوصية الاجتماعية للمزابيين حتى أنها منحت لهم حق التقاضي لدى القاضي الإباضي الموجود في غرداية[36] ،كما منحتهم السلطة امتيازات خاصة من بينها تعيين أمين خاص من بينهم[37].

الفرع الثاني: جماعة الأغواطيون

شكل الأغواطيون جماعة صغيرة مقارنة مع العناصر القادمة من الجنوب، حيث لم يكن وجودهم ذو أهمية إلى في الفترة مابين 1817-1826[38]،"ينتسبون إلى مدينة الأغواط، وإلى قبيلتي الزناخرة وأولاد نائل، وأغلبهم يتولى أعمال متواضعة مثل أعمال الوزن والكيل بأسواق الجزائر، وبيع الزيت ويشتغل عدد منهم بالتنظيف ونقل البضائع وغيرها [39]".

الفرع الثالث: جماعة البساكرة

ترجع أصولهم إلى واحة بسكرة بالجنوب الشرقي الجزائري اضطر الكثير منهم إلى الانتقال إلى مناطق أخرى بسبب الظروف المعيشية الصعبة واستقروا خاصة بمدن العاصمة، قسنطينة، البليدة، وهران، عملوا بالكثير من المهن البسيطة كتزويد المدن بالمياه و جمع الحطب[40] ...، تلحق بهذه الفئة جماعات أخرى قدمت من مناطق أخرى كالزيبان وواد ريغ وسوف وتوقرت وطولقا[41].

الفرع الرابع: جماعة القبائل

هم كل الوافدين من مناطق جبلية مثل جبال جرجرة، البليدة، المدية، تلمسان [42]، من أهم الفئات التي سكنت مدينة الجزائر اشتغلوا في عدة نشاطات اقتصادية نذكر منها البناء ،الحرث، غرس حقول التين والزيتون، واشتغالهم عند الأجانب المقيمين بالجزائر كما يذكر حنيفي هلايلي أنهم امتهنوا صناعة الفحم "ومن النشاطات التي مارسها القبائل وكانت على ما يبدو حكرا عليهم ،صناعة الفحم وبيعه، إذ يشير قانون على الأسواق إلى جماعة القبائل الفحامين" [43].كما أن فيرو تطرق إلى أنهم مارسوا عدة نشاطات في أسواق قسنطينة ذكر منها صناعة البلاط والطوب والصابون إضافة إلى بيعهم للتبغ[44].

الفرع الخامس: جماعة الجيجليون

تذكر المصادر أن لهذه الفئة مكانة كبيرة لدى السلطة الحاكمة في الجزائر، حيث يرجعها البعض إلى وقوف هذه الفئة إلى جانب العثمانيين ومرافقتهم إلى مدينة الجزائر وهذا ما ذهبت إليه الدكتورة عائشة غطاس، حيث حظيت هذه الفئة بالكثير من الاحترام والتقدير إذا ما قورنوا بالفئات السكانية الأخرى حيث منحت لهم عديد الامتيازات مثل حق حمل السلاح وارتداء الألبسة التركية، استطاعوا من خلال هذه الامتيازات السيطرة على عديد

الأنشطة التجارية، على غرار الحرارة والدباغة كما امتلكوا المخابز والعقارات المختلفة[45]، ويظهر ذلك جليا خلال فترة الدايات بجمعهم لثروات كبيرة ساهمت في ترسيخ مكانتهم الاجتماعية[46]. كما أن للداي وحده الحق في معاقبتهم ومحاكمتهم ،إضافة إلى تمتعهم بأمين خاص بهم[47].

الفرع السادس: جماعة الزنوج

تعود أصول أغلب الزنوج الموجودين في الجزائر إلى بلاد السودان، وذلك عن طريق التجار الطوارق الذين قايضوهم مقابل بعض الحاجيات الحرفية كالشواشي والأحذية والأقمشة، وقد تم عتق معظمهم في الفترة الأخيرة من حكم الدايات،[48]، كما يشكل الزنوج جزءا صغيرا من عدد السكان في الجزائر، كما يشير شالر إلى أن الرق في الجزائر لم يكن بمفهوم العبودية بل هو أقرب للعمل مقابل الرعاية والحماية، وعلى الرغم من ذلك تعرضت هذه الفئة إلى العنصرية مثل ما هو موجود في الولايات المتحدة الأمريكية بسبب لون بشرتهم وربطها بالعبيد [49]، مارس العبيد العديد من الأعمال إلا أنهم كانوا في العموم في خدمة العائلات الثرية، حيث تذكر غطاس أن العائلات الغنية كانت تشترط في الصداق عند تزويج بناتهن وجود الإماء بهدف السهر على راحة بناتهن [50]،كما انتشر العبيد في العديد من المدن الجزائرية على غرار مدينة قسنطينة حيث مارسوا مهنة تبييض المباني[51].

المطلب الخامس: أهل الذمة

الفرع الأول: اليهود

شهدت الجزائر توالي العديد من الهجرات اليهودية، والتي يشير دادة أنها ترتبط مع بعضها بدافع الدين والعادات والتقاليد بعيدا عن العنصرية العرقية، خاصة مع القادمين من أنحاء البحر الأبيض المتوسط [52]، تعود أصولهم إلى ما قبل الإسلام أو الذين اعتنقوا اليهودية من أهالي البلاد ،إضافة إلى الذين هربوا مع المسلمين من الأندلس بسبب الاضطهاد الديني [53]، "كما قدم إلى المنطقة مستوطنون يهود من بعض المدن الأوربية منذ بداية القرن 18، ولا سيما من ليفورن، بحثا عن الثروة والاستغلال التجاري، تركز اليهود بمدن الجزائر وأريافها قبل الوجود العثماني ومن الملاحظ أن أغلب اليهود سكنوا مدينة الجزائر حيث قدر عددهم مع بداية الاحتلال بخمسة آلاف فرد مع الإشارة إلى انتشارهم في الكثير من المدن الجزائرية[54]، إلا أنهم استقروا بالمدن الكبرى على غرار الجزائر قسنطينة وهران ومارسوا مختلف الأنشطة الاقتصادية، وبروزهم بشكل كبير خاصة في قطاع التجارة وحصولهم على أموال طائلة مستغلين علاقاتهم التجارية مع الدول المسيحية [55]، ففي مدينة قسنطينة قدر عددهم بحوالي 6 آلاف نسمة خلال القرن 19م، حيث اعتبرت منطقة تركز كبيرة لليهود في الشرق الجزائري بسبب غناها وتنوعها الطائفي والثقافي[56].

الفرع الثاني: الأوربيون

تتركز هذه الفئة في معظمها في مدينة الجزائر وبعض المناطق الساحلية، وكما يشير شويتام إلى أن هذه الفئة تنقسم إلى قسمين الفئة الأولى هي فئة الأوربيين الأحرار أو الطلقاء بينما الفئة الثانية فهي الأسرى الأوربيين.

1- فئة الأوربيين الأحرار: وتتكون في عمومها من القناصل وموظفي القنصليات و الإرساليات ووكلاء المؤسسات التجارية والتجار تعتبر الأقل عددا إذا ما قورنت بالفئات الأخرى، ويرجع البعض ذلك إلى وجود اليهود بأعداد كبيرة و سيطرتهم على النشاط التجاري[57]، حيث يتركز أغلبهم في المراكز التجارية الفرنسية في الشرق الجزائري والمشكلين

في الأساس من التجار والموظفين الإداريين، بينما عددهم في المدن الجزائرية الأخرى قليل جدا، وعلى الرغم من العلاقات المتميزة بين الجزائر وفرنسا فإنه لم يتجاوز عدد الرعايا الفرنسيين بمدينة الجزائر اثنان وعشرين فردا في النصف الثاني من القرن 18 إلى بداية القرن 19[58].

2-الأسرى المسيحيون :عرفت الجزائر خلال العهد العثماني تواجد أعداد من الأسرى الأوربيين، وذلك نتيجة للصراع الديني والحضاري بين العالم الإسلامي والعالم المسيحي حيث كان البحر الأبيض المتوسط مصرحا لهذا الصراع، إلا أن هناك تضاربا فيما يخص عدد الأسرى في الجزائر، حيث يشير هلايلي أن سوق مدينة الجزائر يعتبر أهم أسواق الأسرى في العالم الإسلامي، وأنه في سنة 1578 بلغ عدد الأسرى من الفرنسيين والإسبان والمالطيين حوالي 25000 ألف أسير ليصل مع نهاية الحكم العثماني إلى مابين 500و 122 أسير[59]، وذلك لارتباطه بالنشاط البحري وفترات السلم والحرب، كما يشير سعيود أنه في بايلك قسنطينة حوالي 1300 من الأسرى المسيحيين، أغلبهم في منطقة القالة، إضافة إلى مدينة بونة حيث يتواجد مسيحيون كثر كما توجد بالمدينة غرفة تجارية جنوية .، كما يوجد في مدينة قسنطينة ثلاثون أسيرا جلبوا من مدينة الجزائر[60]، كما انقسم الأسرى المسيحيون في الجزائر إلى ثلاث مجموعات سميت الأولى بأسرى الداي لعملها داخل القصر بينما المجموعة الثانية فعرفت بأسرى البايلك لتبعيتها الدولة، وآخر مجموعة من الأسرى المسيحيين فهي تابعة للخواص[61].

المطلب السادس: التركيبة السكانية لمجتمع الريف

الفرع الأول: قبائل المخزن

هي فئات سكانية تدين بالولاء للسلطة العثمانية وتعتبر اليد الضاربة للدولة خاصة جباية الأموال وجمع الضرائب المختلفة وتأديب القبائل المتمردة على السلطة العثمانية مقابل الحصول على امتيازات مختلفة [62]. كما يعرفها ناصر الدين سعيدوني "هي عبارة عن تجمعات سكانية اصطناعية متمايزة في أصولها مختلفة في أعراقها، فمنها من أقرها الأتراك بالأراضي التي وجدت عليها، لتكون سندا لهم ومنها من أعطيت لها الأرض لتستقر عليها، ومنها من استقدم كأفراد مغامرين أو متطوعين من جهات مختلفة ليؤلف جماعة شبه عسكرية ترتبط مصالحها بخدمة الحكومة التركية "[63]، اتخذت هذه القبائل من الأماكن الإستراتيجية مقرا لها حيث توزعت حول الأبراج والحصون التي تقيم بها الحاميات التركية والخوانق الجبلية والممرات الصعبة وبالقرب من لأسواق الأسبوعية [64].نذكر منها التمركز بالممر السلطاني الرابط بين مدينة الجزائر وكل من مدينتي وهران ومعسكر ،إضافة إلى الطريق السلطاني الرابط بين الجزائر قسنطينة[65].

الفرع الثاني: قبائل الرعية

وهي القبائل الخاضعة تحت السلطة العثمانية استغلت في الجانب الاقتصادي كمورد لخزينة الدولة وذلك بفرض الضرائب المختلفة مما أثر على مستواها الاجتماعي والاقتصادي جعلها تعيش أوضاعا أسوء من أوضاع القبائل المتمردة عل السلطة العثمانية، كما استغل أبناؤها في أعمال السخرة المختلفة [66]. تخضع للكثير من القوانين الصارمة عن طريق فرسان البايلك وقبائل المخزن التي تضمن خضوعها للسلطة على غرار إرغامهم على بيع محاصيلهم بأسعار زهيدة إضافة إلى منعهم من شراء البنادق ذات الحجم الكبير و اقتناء البارود[67].

الفرع الثالث: القبائل المتحالفة

تعتمد في علاقتها مع السلطة العثمانية على السلطة الروحية لشيوخ القبائل والزعامة القبلية ويظهر ذلك جليا في القبائل المتركزة في منطقة الغرب حيث اعتمدت في ولائها على الجانب الروحي، بينما ساد الجانب الحربي في منطقة الشرق الجزائري حيث سيطرت قبائل كبرى على ثلثي بايلك الشرق واضطرار السلطة للتعامل معها كمشيخات النمامشة والحنانشة والحراكته ،ساعدها في ذلك الاستقرار الذي شهدته المنطقة علي عكس المناطق الأخرى التي شهدت عدة ثورات[68]، كما عمل الأتراك على إضعاف هذه القبائل ببث الخلافات والفرقة بين العائلات والوقوف مع طرف ضد الآخر، إضافة إلى استعمال القوة ضدها إذا أحست السلطة الحاكمة أن هذه القبائل تشكل خطرا على مصالحها[69] .

الفرع الرابع: القبائل الممتنعة

هي القبائل غير الخاضعة للسلطة العثمانية والمتمردة عن قوانينها خاصة سياستها الجبائية حيث امتنعت عن دفع الضرائب مما أدخلها في صراع مستمر مع السلطة وأعوانها، تعيش هذه القبائل في الأماكن الجبلية الوعرة بعيدا عن سلطة الدولة لصعوبة تواجد الحاميات في جميع هذه المناطق كالبابور جرجرة الونشريس وشمال قسنطينة والأوراس والتي تنتقل إلى مناطق الهضاب الوهراني ومناطق الأطلس الصحراوي (أولاد نايل، العمور، القصور)حاولت السلطة إخضاعهم عن طريق نصب الحاميات وزيادة نشاط قبائل المخزن إضافة إلى السيطرة على مناطق التبادل التجاري كالأسواق الأسبوعية والموسمية القريبة من مناطق تمركزهم[70]. حيث عملت السلطة التركية على إنشاء بعض الحاميات والمقدر عددها ب 12 حامية على طول المناطق الجبلية من القالة إلى وهران ،أربعة فقط منها قابلة للاستخدام عند سوء الأحوال الجوية، أي من الاعتدال الخريفي إلى الاعتدال الربيعي[71].

من خلال دراستنا نلاحظ التنوع الذي ميز الجزائر في هذه الفترة خاصة من حيث التركيبة السكانية والتنوع العرقي ،إضافة إلى أنه ظهر جليا اختلاف المؤرخين في إعطاء أعداد حقيقية للفئات السكانية المشكلة للمجتمع الجزائري وتعدادها، وللاستزادة أكثر فيما يخص التقديرات المتعلقة بتعداد سكان الجزائر وتنوع عرقياتها سواء المحلية منها أو العناصر الوافدة، يمكن أخذ فكرة عن تركيبة المجتمع الجزائري في هذه الفترة من خلال الجداول أدناه، مع الإشارة إلى التضارب في التقديرات بين مختلف المؤرخين كما ذكرنا سابقا.

الجدول يوضح تقدير سكان الشرق الجزائري عام (1808)[72]

الأندلسيون والعرب(فلاحون ومياومون)	العرب المستقلون	البربر وأهل القبائل	اليهود	الأتراك ومن لا دين لهم	الكولوغلي	المجموع
1.200.0000	400.000	200.000	30.000	20.000	20.000	1.870.000

جدول يبين تعداد سكان العاصمة حسب تقدير جوشيرو دوساندوني العقيد المساعد في هيئة الاركان[73]

الأتراك والكراغلة	المور(سكان المدن والمزارعون) Maures	العرب الرحل	أهل القبائل Cabayles	اليهود	المجموع
40.000ن	400.000ن	120.000ن	200.000ن	20.000ن	780.000ن

المبحث الثالث: بعض عادات وتقاليد المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني

المطلب الأول: الخطبة والزواج

يعتبر الزواج في الجزائر العثمانية رابطة اجتماعية مقدسة تخضع للكثير من الضوابط الدينية، ومن الظواهر التي تعتبر صلة الربط بين العائلات المتصاهرة ظاهرة التوسط والتي تمثلها خاصة النساء من كبار السن من أقارب العائلتين، أو حتى التي لا تربطها أي صلة قرابة بين المتصاهرين أمثال بعض النساء اليهوديات يذكر فندلين شلوصر عن مدينة قسنطينة أنه إذا أراد أي شاب أن يتزوج يرسل يهودية إلى بيت الفتاة التي يريد أن يتزوج بها ،دون أن يقيم معها علاقة شخصية، فإن قبلت توجه إلى أبيها، واتفق معه على المهر المقدم، والذي يتراوح في الغالب مابين 75 إلى 100[74]ريال إضافة إلى العادات المتعارف عليها خلال هذه المناسبات والتي تختلف من منطقة لأخرى ،كما ذكر دودو أن الخطبة تتم باجتماع الوالدان والاتفاق على الصداق ومن ثم توثيقه لدى القاضي وقراءة الفاتحة وصولا لتحديد يوم العرس والزواج[75]. كما يظهر تنوع صيغ الزواج بين البنت الثيب والبكر، والملاحظ هو عدم اختلاف المهر كثيرا بين الثيب والبكر وأن لكل منهما شروطا خاصة،كما ذكر في عقد آخر لبنت بكر اشتراط عدم الزواج عليها مقابل السكن لدى والد الزوجة طول مدة الزواج، وأن كتابة عقود الزواج تطول أحيانا كثيرة بسبب صغر سن الزوجة[76].، كما أن زيارة النساء للحمامات والمنازل ساهمت بشكل كبير في التعارف والتوسط بهدف الزواج حيث تفتح الحمامات للنساء في أوقات معينة[77]، كما أن ارتياد الحمامات يعتبر مناسبة لإظهار المستوى الاجتماعي المرموق لبعض العائلات بإظهار الحلي والمصوغات التي هي دلالة على ثروتها و مكانتها في المجتمع [78]، وعلي الرغم من تعدد طرق الخطبة والتعارف بين العائلات إلا أن الزواج في الجزائر يخضع لدستور خاص تراعى فيه جوانب الترفيه والسياسة والاقتصاد والسلوك الاجتماعي إضافة إلى العادات والتقاليد، كما أن اللافت للانتباه في المجتمع الجزائري ارتفاع نسبة الذكور في المدن إذا ما قورنت بالأرياف[79].أما بالنسبة للمرأة في الريف فهي تعيش تحت السيطرة التامة للرجل في مجتمع يعطي مكانة اجتماعية كبيرة للرجل،ومن الملاحظ أيضا في المجتمع الريفي انتشار ظاهر الزواج المبكر حيث لايتجاوز سن الذكور العشرين سنة بينما لاتتجاوز الإناث سن العاشرة، مع انعدام ظاهرة العزوف عن الزواج [80]، ومن الجدير بالذكر أن صداق المرأة يختلف حسب الحالة الاجتماعية للزوج كما يتكون الصداق عموما في الأرياف من حلي ومجوهرات بينما بالنسبة للأغنياء فتقدم صرمية من الذهب والفضة، كما ينقل لنا سعيدوني "مكونات مهر زواج سنة 1139هـ/1727 بين أسرتين مرابطتين كبيرتين، هما أسرة سيدي محمد شريف الزهار من مدينة الجزائر، وأسرة سيدي علي مبارك من مدينة القليعة:1001 ألف ودينار واحد،ثلاثة قفاطين،ثلاثة أزواج من الأسورة الذهبية ،أمتان اثنتان (خادمتان)،ثلاث أوقيات من اللآلئ من الطاز الباروكي."[81]

كما يمكن ملاحظة الفرق بين العقود التي أنجزت بالمحكمة المالكية والتي أنجزت بالمحكمة الحنفية فالأولى تحمل توقيعا بينما الثانية تحمل ختما[82].

أما بالنسبة للصداق في مدينة قسنطينة مع أواخر القرن 19وبداية القرن 20 ،فقد تكون عموما من الصداق النقدي إضافة إلى مجموعة من الملحقات نذكر منها القمجة ،الملحفة ،الحزام ،القفطان ،الإماء، مع الإشارة إلى أن الصداق يخضع للأعراف والعادات المتوارثة و الحالة المادية للزوجين [83].

كما تقام الكثير من الطقوس يوم الزفاف إلى أنها تختلف باختلاف المناطق إلا أن الاحتفالات بالعرس تدوم عدة أيام تصل إلى أكثر من سبعة أيام[84] وجب التذكير أن الطقوس الاحتفالية تختلف بين المدينة والريف في بعض العادات والمورثات الاجتماعية المختلفة ،كما أن إقامة حفلات الزواج يكون حسب المكانة الاجتماعية والاقتصادية لأهل العريسين حيث تقام هذه الحفلات للنساء والرجال كل على حدة بعيدا عن الاختلاط تصاحبها بعض الطقوس كقيام الزوج بالتجول في المدينة مرتديا لباسا خاصا والذهاب إلى الحمام ومن ثمة الصلاة مع العائلة والأحباب وصولا لعقد القران وقراءة الفاتحة [85].

المطلب الثاني: الاحتفالات بعيد الفطر والأضحى

قبل الاحتفال بعيد الفطر نذكر أن لسكان الجزائر عادات خاصة في استقبال **شهر رمضان** حيث يتم إعلان بداية شهر الصوم بتحري رؤية هلال شهر رمضان وإذا تأكدت يتم إعلام السكان ببداية الصيام بطلقة مدفع كما يذكر شلوصر ،كما أنها نفس الطريقة التي يعلن بها عن الإفطار [86]،كما يتم إقامة حفلات القراقوز بعد الإفطار، إضافة إلى ختم صحيح البخاري وإضاءة الشموع، ومن الملاحظ أن ما يميز شهر رمضان هو خروج الناس للسهر على غير العادة في بقية الأوقات حتى خروج النساء بمرافق [87].

أما فيما يخص عادات الاحتفال **بعيد الفطر** للمجتمع الجزائري فلها طابع خاص ،فتعتبر هذه المناسبة إيذانا بنهاية شهر رمضان وعاداته الاجتماعية والدينية المميزة ،كما يشير هابنسترايت إلى أن زيارته للجزائر تزامنت مع الفترة التي تسبق حلول شهر رمضان وأن المسلمين يمتنعون عن الأكل والشرب خلال اليوم طيلة الشهر،إلا أنه يتم إخبار الداي برؤية هلال العيد مع انقضاء شهر رمضان فيأمر بإطلاق المدافع إيذانا بحلول العيد ونهاية شهر رمضان[88]،يرتدي المسلمون بهذه المناسبة أجمل ثيابهم، كما تقدم الهدايا للأطفال [89]، كما يطلق على هذه المناسبة اسم العيد الصغير أوعيد السكر(سكر بيرام) نسبة إلى توزيع الهدايا المصنوعة من السكر [90]،تستمر الاحتفالات بهذه المناسبة مدة ثمانية أيام[91]، أما العياشي فيذكر أنه أقام في بوسمغون في آخر يوم من أيام شهر رمضان، ومما لاحظه عند أدائه للصلاة مع المصلين أنهم يخرجون للصلاة قبل طلوع الشمس حاملين أسلحتهم معهم كبارا وصغارا كما يشير إلى أنهم " ...ويبنون في المصلى أحجارا يتخذونها غرضا للرمي بالبنادق..."[92].

أما بالنسبة **لعيد الأضحى** :يتم مع فجر اليوم الأول لعيد الأضحى إطلاق نيران المدافع والبنادق إيذانا بحلول عيد الأضحى المبارك ،كما تطلق عليه تسمية قربان بيرامي أو كيوك بيرامي باللغة التركية ومعناه العيد الكبير للتضحية ،يستقبل في هذا اليوم حاكم الجزائر الوفود المهنئة بالعيد إضافة إلى ممثلي البعثات الدبلوماسية القنصليات والأجانب المقيمين في البلاد، إضافة لتبادل الزيارات بين الأهالي وأعيان المدينة كما تذبح الأضاحي بعد أداء شعيرة

صلاة عيد الأضحى إضافة إلى تقديم الطعام للعوام والمتمثل أساسا في الكسكسي داخل قصر الداي[93] ،كما يتم بالمناسبة إقامة الألعاب البهلوانية الشبيهة بالمصارعة وهي في الأصل مبارزة بين عشرة أزواج من اللاعبين يفوز بها صاحب القوة والمهارة والخفة يمارسها في الغالب الأتراك خاصة أيام الجمعة إلا أن المميز في عيد الأضحى هو حضور الباشا وحاشيته، كما أن هناك لعبة أخرى تجرى بالمناسبة حيث يرمي فرسان الصبايحية عصيهم اتجاه بعضهم البعض والفائز في الأخير من يصيب صاحبه تسمى هذه اللعبة لعبة العصي،كما تشهد المدن إغلاق الدكاكين وزيارة الأقارب والتوجه للبساتين أما بالنسبة للنساء فيقمن بزيارة المقابر[94].

كما يذكر وليام شالر أهمية المناسبات الدينية في قوله " وعيد الفطر الذي يتوج شهر الصيام عند المسلمين ،مثل عيد الأضحى الذي يأتي بعده بشهرين وعشرة أيام، مناسبة جليلة تعلنها طلقات المدافع المدوية ويطلق فيها المسلمون العنان للفرح والسرور[95] ".

المطلب الثالث: الألبسة

يتميز اللباس التركي بمميزات تختلف عن السكان المحليين سواء سكان الريف أو المدينة حيث يقدم سبنسر وصفا لهذا اللباس فيما ذكره " .. ويلبس ذوو الاعتبار من الرجال بدعيتين أو ثلاث بدعيات مفتوحة عند الرقبة وتزركشها الأزرار وخيط الطرفوفي طول العجل يتخذ إما من الموسلين أو النسيج القطني الأبيض يضاف إليها إما شاش أو شاشية حمراء، وتلتئم خياطة السراويل بواسطة تطريز حريري واسع يلصق به لابسه مسدسه وسيفه وخنجره وعند نهايته يخبئ حاملة نقوده من الحرير و الساعة من صنع البندقية والعائدات الشخصية الأخرى " ،كما أن اللباس التركي لا يختلف عن بعضه من النخبة إلى أقل عضو ،كما حافظ على شكله التركي إلا أنه لم يخلو من لمسة الطراز المغاربي [96].

أما بالنسبة للباس الحضري العربي فهو من "عدة قطع بأكمام أو بدونها مفتوح في الصدر ومزين بأزرار وزخارف وسروال فضفاض ينزل حتى الساق ويعقد على حزامه الذي يلفه عدة مرات يطغانا[97] ويضع في طياته ساعته ومحفظة نقوده "[98]، بينما بالنسبة للباس الكراغلة فيكون مزينا بالقصب والحواشي طبقا لمستوى الشخص وغروره، وتعتبر العمامة ومادة صنعها دلالة على المستوى الاجتماعي للرجل، ويتم تغطية الملابس ببرنوس يحمل فوق الكتف يتم صناعته من قطعة واحدة بدون خياطة يتميز بالبساطة والأناقة [99].

بالنسبة للمرأة في البادية فيذكر سبنسر أنها تلبس حايك تحته قميص وسروال تحول الجزء العلوي إلى كيس لحمل الأولاد كما تغطي رأسها بقطعة قماش مطرزة بخيوط ذهبية وفضية ،أما نساء المدن فيذكر سبنسر أنهن أكثر أناقة بسبب التأثر بتراث القسطنطينية بعد عودة المبعوثين من المدينة [100]،وتأثرهم بالطابع العثماني سواء في اللبس أو العطور وفي طريقة استعمال الحناء،كما ذكر سبنسر أن النساء الأتراك في المجتمع الجزائري " يلبسن الفارملة بشكل شائع وهي اللباس ذو الحزام المفتوح عند الصدر مع معطف أو أكثر بأكمام قصيرة مع أو إلى جانب ألبسة داخلية تتدلى على سراويل مطلوقة عندما يكن في المنزل ولما يخرجن إلى الحياة العامة فإنهن يضعن ثوبا مزركشا من ثلاث طبقات طوله يصل الركبة ويتحزمن بشاش مزركش عريض ثم تأتي بسراويل عريضة وبلغ مربعة مرتفعة وفوق الكل يأتي الحايك الأبيض ويتحجبن حتى عيونهن بقطعة شفافة بيضاء ،[101]،كما يشير شارل أن لباس النساء العربيات

يصنع من أحسن المواد وأجودها إضافة إلى أثواب من الحرير مطرزة بالدنتيال يغلق بشريط من الوراء إضافة للبسها للأحذية بدون جوارب كما تهتم المرأة الجزائرية بلبس الحلي الثقيلة المصنوعة من الذهب والفضة حسب مكانتها الاجتماعية أما بالنسبة للفتاة غير المتزوجة فترتدي على رأسها قلنسوة عادية مطرزة بسكوينات [102]كما ترتدي ثيابا متعددة الألوان [103].

المطلب الرابع: العادات الغذائية

تنوعت أصناف الطعام في المجتمع الجزائري وذلك بتنوع المناطق، إضافة إلى تأثر الجزائريين بالعادات الغذائية للمجتمعات الوافدة .

الفرع الأول: طبق الكسكسي

يعتبر الأكثر شهرة في المجتمع الجزائري بتنوعه العرقي والثقافي، يفتل بحبات صغيرة عادة في قصعة مصنوعة من الخشب ثم يوضع في كسكاس ويطهي بالبخار وقد يرفق بالمرق والخضراوات أو يقدم بالبيض المسلوق أو بأعشاب حلوة ،لذيذ الطعم ومغذ جدا والطبقة الفقيرة التي لا تقدر على شراء اللحم تحضره بزيت الزيتون أو مدهونا بالزبدة وأما طبقة العمال فهي تقتنع بالخبز والزيت متى أمكنها الحصول عليه[104]. كما يذكر حمدان خوجة عند زيارته لمدينة القلعة،أنه تم تقديم له الكسكس موضوعا فوقه السكر ،كما أشار إلى أن سكان التل أفضل ضيافة وأن أشهر الأطعمة عندهم الكسكس حيث يقدم مع الحليب [105].

الفرع الثاني: اللحوم

يستهلك سكان المدن اللحم بكميات قليلة لصعوبة الحصول عليه حيث يكاد يقتصر على الأثرياء فقط أما الفقراء فلا يستهلكونه إلا نادرا وتتجه الأغلبية إلى لحوم البقر والغنم الدجاج والأسماك[106]. كما ذكر حمدان خوجة أن سكان السهول على الرغم من امتلاكهم للمواشي أنهم لايذبحون منها للتمتع بأكلها، إلا أنهم في حالة نزول ضيف عليهم يذبحون من ماشيتهم ويقدم له اللحم إكراما له إيثارا منهم على الرغم من امتناعهم عن ذبحها لأنفسهم وأهلهم[107]، كما يشير الشويهد إلى تعدد طرق تحضير وتخزين اللحم فهناك الخليع والكفتة والشحم المذوب والشحم غير المذوب[108].

الفرع الثالث: القهوة

وصفها شالر بأنها مشروب الترف لأن المجتمع الجزائري لا يتناول الخمر ويظهر ذلك في ارتياد الجزائريين للمقاهي [109]. كما أخذت القهوة أهمية كبيرة لدى المجتمع الجزائري خاصة الفئة المتحكمة في السلطة حيث تعتبر من أهم المشروبات التي تقدم في المناسبات حيث يذكر هابنسترايت أنها كانت تقدم للجند مرفوقة بالحلويات[110]،كما يشير سعيدوني إلى "أن شرب القهوة يقتصر على ميسوري الحال وأنها تحضر عادة خفيفة، ولا تطحن حبوب القهوة وإنما تدك وتسكب في فنجان صغير، ويضاف إليها قليل من السكر الخام ويقدر ثمن فنجان القهوة بمقاهي فحوص مدينة الجزائر بخمسة سنتيمات، مما يجعل استهلاكها يقتصر على الأغنياء[111] .بينما يذكر ليسور ويلد في رحلتهما إلى أهم مدن الجزائر في السنوات الأولى للاحتلال أن المقهى هو مكان التقاء مختلف الطبقات الاجتماعية عدة مرات في اليوم لشرب القهوة وتدخين الغليون ولا وجود لأي فوارق على أساس الطبقة والثراء[112].

الفرع الرابع: أطباق الدولما أو المحشوة

تشتهر أطباق الدولما بشكل كبير في مدينة الجزائر خاصة مثل سوبان دولماسي (بصل مملوء بلحم الخروف المفروم والأرز)، يابراك دولماسي (لحم مغلف بأوراق العنب)، إضافة إلى انتشار طبق الكباب المأخوذ من لحم العجول والخرفان وهي أكلة شعبية شهيرة، إضافة إلى الكفتة وهي كراكب من اللحم تطبخ بطرق متنوعة وهي أكلة شعبية تركية[113].

الفرع الخامس: الحلويات

عرف الجزائريون بتناول العديد من الحلويات والتي من أشهرها البقلاوة وهي في الأصل حلوى تركية معروفة تصنع من الجوز واللوز والزبيب، دسمة جدا، زيتية ومشربة بالعسل [114]. ومما يؤكد انتشار واهتمام السلطة بنشاط بيع الحلويات بشكل عام فرض الجمرك لضريبة على بائعيها قدرت بنصف ريال عن كل محل شهريا [115]،كا فرضت على حلوى البقلاوة بشكل خاص ضريبة قدرت بأربعة دراهم عن سلة البقلاوة[116]،إضافة إلى حلوى الزلابية وهي نوع من الحلويات الشرقية التي يحضرها بعض الأشخاص تعرف انتشارا كبيرا خلال شهر رمضان خاصة،حدد سعرها بأربعة و أربعين درهما، وسعر الزلابية المصنوعة من النشا بأربعين درهما،يقول الشويهد" وذهبنا إلى الداي مصطفى أنا وعبد الله محمد بن الحاج يوسف والمحتسب سليمان والحاج مسعود ناظر سوق الدخان و تحادثنا في شأن تحديد سعر الزلابية، فحددناه بأربعة و أربعين درهما، وسعر الزلابية المصنوعة من النشا بأربعين درهما وصرح بذلك في يوم23 رمضان 1112(1700م)[117].

المبحث الرابع: نماذج من التأثير والتأثر بين الجزائريين والعناصر الوافدة

أما فيما يخص مظاهر التأثير والتأثر بين الجزائريين والعناصر الوافدة وبعد التطرق للمجموعات المكونة للمجتمع الجزائري، ومن ثم التعريج على بعض العادات والتقاليد خلال الفترة العثمانية ،سنحاول توضيح بعض أهم مظاهر التأثير والتأثر بين مختلف العناصر المكونة للمجتمع الجزائري .

بالنسبة لمجتمع المدينة لم تستطع طبقة الحضر فرض أسلوب عيشها وتقاليدها على بقية المجموعات باستثناء قسنطينة وتلمسان خاصة في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلادي، وذلك بسب كثرة العناصر الخارجية كالأسرى والأعلاج، وبالتالي غياب التجانس بين هذه الفئات، إلا أن المجتمع الجزائري شهد تحولا نحو التجانس والاندماج مع نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر،وذلك بسبب ضعف البحرية وتناقص الأسرى وزيادة شعور الانتماء الديني الإسلامي بسبب الهجمات الأوربية المتكررة، وتحسن علاقة الحكام بالدواخل.[118]

كما كان للأتراك تأثير كبير على المجتمع الجزائري، حيث يظهر ذلك بوضوح في تأثر الجزائريين بالعادات والتقاليد الشرقية خاصة منها المأكل والملبس إضافة إلى فن العمارة كالمساجد والأضرحة والموسيقى والخط، كما أن تأثير المرأة التركية لم يكن كبيرا لقلتهن حيث اقتصر تواجدهن على نساء كبار المسؤولين فقط[119]،وهذا لاينفي انتشار بعض أنواع الألبسة النسائية مثل القفطان حيث يعتبر من ملحقات الصداق للمرأة الجزائرية والمرجح دخوله مع الأتراك[120]. كما كان التأثير متبادلا بين الجزائريين والأتراك بشكل خاص والعناصر الوافدة بشكل عام فيما يخص

العادات الغذائية ،حيث انتشرت الكثير من الأكلات والحلويات المشهورة في تلك الفترة والتي بقيت إلى يومنا هذا مثل الكسكس ،الدولمة، الكباب، الكفتة، البقلاوة، إضافة إلى طريقة الاحتفال بالأعياد والمناسبات الدينية .

أما فيما يخص تأثير العنصر الأندلسي فقد حافظوا على تقاليدهم الخاصة في التعاملات وفي الأفراح وفي طرق الطهي واللباس، كما حرصوا على إحياء الأعياد والمواسم الدينية وفق عاداتهم بترديد الأناشيد والمدائح والقصائد الدينية، إضافة إلى تميزهم بطابع خاص في الغناء والموسيقى في الأفراح وعند الولادة والخطبة والزفاف وهي العادات والتقاليد الموجودة في المجتمع الجزائري إلى يومنا هذا، كما استطاع الأندلسيون فرض طريقتهم في اللباس على كثير من المدن الجزائرية كالبليدة والقليعة وشرشال ونذكر على سبيل المثال جهاز المرأة والمتكون من القمجة والطوق والفستان والمحرمة[121].

بينما عمل اليهود على الاختلاط مع الجزائريين في الأحياء والمدن على الرغم من وجود حارات خاصة بهم على غرار حارة اليهود قسنطينة، إذ لم يكونوا ملزمين بالسكن فيها، إلا أن غالبية اليهود استقروا بالحارات الخاصة بهم والانغلاق على أنفسهم [122]، كما انتشر اليهود في الكثير من المناطق نذكر منها على سبيل المثال معسكر مستغانم تلمسان،إضافة إلى منطقة بني ميزاب حيث شجع الميزابيون اليهود على الإقامة في مناطقهم ،كما أنهم عاشوا في جو من التسامح مع الإباضيين، كما استقر بعضهم في مناطق القبائل وإن كانوا بأعداد قليلة وعاشوا جنبا إلى جنب بشكل طبيعي وهو ما يظهر في ارتدائهم للباس القبائلي تأثرا بسكان المنطقة[123].أي أن لباسهم لم يختلف عن لباس الجزائريين في الظروف العادية [124]،كما لم يختلف اليهود عن الجزائريين في السلوك والعادات وطرق المعيشة[125]،يشار إلى أن لباس وهندام المرأة اليهودية يشبه كثيرا لباس المرأة المسلمة وذلك بسبب تأثرهم بالعادات والتقاليد الإسلامية.[126]

خاتمة:

على ضوء دراستنا الموسومة ب"**دراسة سوسيو تاريخية للمجتمع الجزائري عاداته وتقاليده خلال العهد العثماني 1519-1830**" يمكن التوصل إلى مجموعة من الاستنتاجات ،نحاول تعدادها في النقاط التالية:

- التنوع في التركيبة السكانية للجزائر العثمانية خلال هذه الفترة مع وصول عناصر سكانية جديدة الأتراك، الأندلسيين ،الأوربيين...و الخ.
- اختلاف مجتمع الريف عن مجتمع المدينة بشكل لافت من حيث العادات والتقاليد والبنية السكانية.
- ساهم التواجد العثماني في الجزائر في تنوع الحياة الاجتماعية بتلاقح مجموعة من العناصر السكانية المختلفة .
- اختلاف المؤرخين في توصيفهم لفترة التواجد العثماني في الجزائر فهناك من يرى أن الأتراك لم يدخلوا في علاقات اجتماعية مع العناصر السكانية إلا للضرورة وأنهم استفادوا من امتيازات اجتماعية كرست الفوارق الطبقية بشكل كبير في المجتمع الجزائري وهناك من يرى أن هذا الوضع هو نتاج لطبيعة المرحلة وقلة أعدادهم إذا ما قورنت بالعناصر السكانية الأخرى ،وأنهم تعاملوا اجتماعيا مع السكان المحليين خاصة في إحياء

المناسبات الدينية والاجتماعية إضافة إلى علاقة المصاهرة مع العائلات الجزائرية وما نتج عنها من فئة سكانية عرفت بـ "الكراغلة" ولعبها دورا كبيرا في تاريخ الجزائر العثمانية .

- اضطرار المجموعات السكانية التي تعيش في الدواخل إلى الهجرة والتركز في المدن الكبيرة بسبب حالة الفقر والعوز التي شهدتها هذه المناطق .
- تركز أغلبية المجموعات الوافدة في المراكز السكانية الكبرى وتواجدهم بالمناطق الريفية بأعداد قليلة جدا أملتها ضرورة المصلحة لاغير على غرار العنصر التركي .
- العامل الديني ساهم إلى حد كبير في التقريب بين الفئات السكانية المشكلة للمجتمع الجزائري باختلاف أصولها ويظهر ذلك جليا في الاحتفال بالمناسبات وبالأعياد الدينية .....
- من خلال الدراسة نلاحظ تمسك الجزائريين بإتباع تعاليم الدين الإسلامي ويظهر ذلك جليا في الاحتفال بعيد الفطر وعيد الأضحى وما يصاحبها من واجبات دينية، إضافة إلى طقوس احتفالية خاصة تظهر حالة البهجة والسرور التي تميز إحياء هده المناسبات ،إضافة إلى الاحتكام إلى الشرع في كل ما يخص مناحي الحياة .
- كما يلاحظ أن غذاء الجزائريين متنوع في عمومه إلا أن هناك بعض الأكلات الشعبية التي تنتشر في عموم المناطق الجزائرية بمدنها وأريافها كالكسكس على سبيل المثال لا الحصر وإن اختلفت طريقة تقديمه بين منطقة وأخرى، كما نلاحظ انتشار بعض الأغذية الدخيلة على عادات الجزائريين التقليدية بحكم تعاملهم مع العناصر الوافدة، ومما يلاحظ أيضا أن أغلب الأغذية التي يتناولها الجزائريين في عمومها أغذية صحية لأنها تحضر من مواد طبيعية تنتج محليا، وابتعاد أغلبهم عن الأغذية المحرمة.

الهوامش:

[1] مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، مكتبة الشروق الدولية، ط4، مصر، 2004، ص754.

[2] أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، **لسان العرب** ،دار صادر، ج3، بيروت ،ص 316-317.

[3] أحمد زكي بدوي ،**معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية**، مكتبة لبنان ،بيروت ، ص 190.

[4] أحمد مختار عمر، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، عالم الكتب، ج1، ط1، القاهرة، 2008، ص 1850.

[5] احمد زكي بدوي، المرجع السابق، ص428.

[6] **الإنكشارية**:"بمعنى القوات الجديدة مصدرها حاج بكتاش ولي.ويقال أن أورخان ابن عثمان اصطحب الفرقة الأولى إلى مسكن هذا الشيخ ورجاه أن يباركهم ....وهي فيالق عسكرية تكونت من أبناء رعايا الدولة الذين تم جمعهم ما بين السادسة والخامسة عشر من مختلف الولايات العثمانية في أوربا،..وهناك من يقول إنهم من أبناء المسلمين ".ينظر: سهيل صابان ،**المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية**،مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض ،السعودية ،2000، ص41.

[7] أرزقي شويتام ،**المجتمع الجزائري وفعاليته 1519– 1830**،رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ ،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ،جامعة الجزائر، الجزائر، 2006،ص59.

[8] **بوتان**:هو فانسون ايفيس بوتان vincent-ivis boutin ولد في 1يناير 1772م بقرية لورو-بوتور بلوار السفلي ضواحي مدينة نونت انهي تعليمه في 1791م وفي سنة 1793م دخل مدرسة مزيار العسكرية برتبة ملازم ،وفي 1794 ترقى إلى رتبة ملازم أول ثم نقيب وأسندت له مهام عدة لمصلحة بلاده ولجدارته ترقي إلى رتبة رائد قائد كتيبة في 28 ديسمبر 1807م وفي 30افريل1808 وقع الاختيار عليه لانجاز مهمة تجسسية بالجزائر،

توفي من قبل حشاشين في قرية بلاطا. **ينظر**: زهرة محجوبي، المخططات العسكرية الفرنسية لاحتلال الجزائر(1741م1830م)، **مجلة الدراسات التاريخية العسكرية**، المركز الوطني للدراسات والبحث في التاريخ العسكري للجزائر العدد01،، 2020،ص103.

[9]بن عتو بلبراوات ،**المدينة والريف في الجزائر في أواخر العهد العثماني**، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر ،قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية و الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، ،الجزائر ،2008، ص113..

[10] صالح عباد، **الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830** ،دار هومة ،الجزائر،2012،ص355.

[11]بن عتو بلبراوات ،المرجع السابق، ص114

[12] ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعبدلي ،**الجزائر في التاريخ العهد العثماني** ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،1984، ص92.

[13]ارزقي شويتام ،المرجع السابق ،ص 61.

[14] بن عتو بلبراوات، المرجع السابق، ص 121.

[15]خليفة حماش ،**الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني**، رسالة دكتوراه التاريخ الحديث ،قسم التاريخ، ،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ،جامعة منتوري ،قسنطينة ،2006، ص59.

[16]فتيحة الواليش، **الحياة الحضرية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن الثامن عشر**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ ،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 1994 ،ص106.

[17]ويليام شالر،**مذكرات ويليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر1816-1824** ،تعريب وتعليق وتقديم:إسماعيل العربي ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر ،1982، ص56.

[18]صالح عباد، المرجع السابق، ص ص357-358.

[19] خليفة حماش ،المرجع السابق، ص67.

[20] ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعبدلي ،المرجع السابق، ص ص96-97.

[21]ارزقي شويتام ،المرجع السابق ،ص55.

[22]بن عتو بلبراوات، المرجع السابق،ص122.

[23]ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعبدلي ،ص 97.

[24]ناصر الدين سعيدوني ،الأندلسيون(الموريسكيون) بمقاطعة الجزائر" دار السلطان " أثناء القرنين السادس عشر والسابع عشر،**مجلة حوليات جامعة الجزائر**، جامعة الجزائر، العدد 01، 1993، ص107.

[25]المرجع نفسه، ص 108.

[26]Albert Devoux, **Notice sur les corporation religieuses d'Alger**, Accompagnée de documents authentique et inédits, Typographie et Lithographie Bastide, Alger, 1862, P29.

[27]مرمول كار بخال، **إفريقيا**، ت: محمد حجي وآخرون، دار المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط ،1989. ص362.

[28]ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي، المرجع السابق ،ص ص 97-98.

[29]Albert Op Cit p 29

[30]ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعبدلي ،المرجع السابق ،ص 99.

[31]Charl Feraud, Corporation De métiers A Constantine Avant La conquête Francaise, Revue Africaine, N16, 1872, Alger, P 451.

[32]بن عتو بلبراوات، المدينة والريف ...،المرجع السابق، ص126

[33]هشام بوبكر ،عياشي بلقاسم ،جوانب من الحياة الديمغرافية والاجتماعية للمجتمع الجزائري أواخر الفترة العثمانية دراسة سوسيو تاريخية للجماعات السكانية الحضرية المكونة للمجتمع الجزائري ،**مجلة افاق العلوم** ،جامعة الجلفة ،العدد 7،، 2017،ص294.

[34]ويليام شالر، المصدر السابق ،ص111.

[35] Charl Feraud, Op Cit, P 454

[36]سبنسر ويليام،**الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتقديم عبد القادر زبادية** ،دار القصبة للنشر،الجزائر ،2007 ،ص100.

[37]Venture De Paradis, Alger au XVllle Siècle, Adolph Jourdan, Alger, 1898, p 14.

[38] عائشة غطاس، الحرف والحرفيون.....، المرجع السابق، ص 25.

[39]ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعبدلي ،المرجع السابق ،ص101.

[40]المرجع نفسه، ص100.

[41] بن عتو بلبراوات،المدينة والريف...،المرجع السابق، ص 128.

[42]عائشة غطاس ،**الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر1700-1830 مقاربة اجتماعية اقتصادية** ،أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث ،قسم التاريخ ،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر ،2001، ص 22.

[43].حنيفي هلايلي ،أوراق في تاريخ ...، المرجع السابق، ص171.

[44]Charl Feraud, Op Cit, P 454

[45]بن عتو بلبراوات ،المدينة والريف ...،المرجع السابق، ص131.

[46]ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعبدلي ،المرجع السابق ،ص101.

[47]Venture De Paradis, Op Cit ,P14.

[48]بن عتو بلبراوات، المهاجرون....، المرجع السابق، ص 63.

[49]ويليام شالر، مذكرات ..، المصدر السابق، ص ص 92-93.

[50]عائشة غطاس، الحرف ...، المرجع السابق، ص ص32-33.

[51]Charl Feraud,OpCit , P454.

[52]محمد دادة، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ليهود الجزائر في الفترة العثمانية، **مجلة عصور الجديدة**، جامعة وهران،العدد 10، 2013،، ص 165.

[53]ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي، المرجع السابق ،ص 102.

[54]بن عتو بلبراوات، المهاجرون والمهجرون الى الجزائر العثمانية بين الانعزال والاندماج الاجتماعي، **مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ** ،جامعة معسكر، العدد 04 ،2009، ص65.

[55]محمد دادة، المرجع السابق، ص 170.

[56]صبرينة الواعر، يهود مدينة قسنطينة من خلال رحلات الفرنسيين إبان القرن 19م، **مجلة عصور الجديدة**، جامعة وهران ،العدد 18 ،2015،، ص 175.

[57]ارزقي شويتام، المرجع السابق، ص66.

[58]المرجع نفسه، ص66-67.

[59]حنيفي هلايلي ،**أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني** ،دار الهدي عين مليلة ،ط1،الجزائر ،2008 ،ص ص 68-69.

[60]سعيود ابراهيم سعيود، جهود الكنيسة البابوية في تحرير الأسرى الأوربيين في الجزائر خلال العهد العثماني (مقاربة تاريخية)،**مجلة الحوار المتوسطي**، المجلد 08،العدد 01، 2017 ،جامعة سيدي بلعباس ،ص ص419-420.

[61] بومدين دباب، الهام السرية لمفتدي الأسرى المسيحيين في الجزائر خلال العهد العثماني، **المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية**،جامعة سيدي بلعباس، العدد 01، 2018،، ص 42.

[62]المرجع نفسه، ص 105- 106.

[63] ناصر الدين سعيدوني، **ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، دار البصائر،ط2،الجزائر، 2009، ص207.

[64]المرجع نفسه، ص219-218.

[65]حنيفي هلايلي، **بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني** ،دار الهدي، ط1 ،عين مليلة الجزائر، 2007 ص87.

[66]صالح عباد ،المرجع السابق ،ص367.

[67]ناصر الدين سعيدوني المهدي بوعبدلي ،المرجع السابق، ص107.

[68]المرجع نفسه،ص108- 109.

[69]صالح عباد، المرجع السابق ،ص363.

[70]ناصر الدين سعيدوني المهدي بوعبدلي،المرجع السابق، ص109 110.

[71] Le blanc de Prepois (francois), Algerie De La Necessite de substituer le gouvernements civil au gouvernement militaire pour le succès de la colonisations Dalger, Delaunay Libraire, Paris, 1840, p 09.

[72]كمال لحمر، **صورة المجتمع الجزائري (La Revue Africaine 1856-1962)**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في علم اجتماع التنمية ،قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة ،2011 ،ص 218.

[73]المرجع نفسه ،ص219.

[74]شلوصر فندلين، **قسنطينة أيام احمد باي 1832-1837** ،ترجمة وتقديم :أبو العيد دودو،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ،2007، ص86ص-87.

[75]أبو العيد دودو ،**الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان1830-1855** ،ط1 ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ،1975 ،ص 74.

[76]أحمد بحري، العادات الإجتماعية في جزائر الدايات ،**مجلة الحضارة الإسلامية**،العدد15،جامعة وهران ،الجزائر، 2014،ص189.

[77]سبنسر ويليام، **الجزائر في عهد رياس البحر**،تعريب وتقديم :عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر ،2007، ص114 .

[78]نفس المرجع، 108.

[79]أحمد بحري، المرجع السابق، ص ص 190-191.

[80]ناصر الدين سعيدوني، **الحياة الريفية بإقليم مدينة الجزائر (دار السلطان) أواخر العهد العثماني (1791-1830)**، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر ،2014، ص 396.

[81]المرجع نفسه ،ص397.

[82]خليفة حماش، المرجع السابق ،ص327.

[83]سهام بودية، **دور المصاهرات في مدينة قسنطينة في الربع الأول من القرن التاسع عشر من خلال سجلات المحاكم الشرعية**، رسالة دكتوراه تخصص تاريخ المغارب الحديث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة، ص ص91،93.

[84]سبنسر ويليام ،المرجع السابق ،ص117.

[85]احمد بحري ،المرجع السابق ،ص ص191-192.

[86]شلوصر فندلين ،المصدر السابق، ص85.

[87]بن عتو بلبراوات، المدينة والريف ،...،المرجع السابق ،ص141.

[88]ج.او هابنسترايت، **رحلة العالم الألماني : ج. أو. هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس**، تقديم وتعليق وترجمة:.ناصر الدين سعيدوني، دار البصائر،ط2، الجزائر،2013 ،ص46.

[89]بن عتو بلبراوات،المرجع السابق ،ص142.

[90]ويليام سبنسر، المصدر السابق، ص120.

[91]شوفالليه كورين ،**الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510-1541**،ترجمة جمال حمادنة ،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007،ص79.

[92] عبد الله بن محمد العياشي ،**الرحلة العياشية 1661-1663م**، تحقيق : سعيد الفاضلي ،سليمان القرشي، ج2،ط1، دار السويدي للنشر و التوزيع،الإمارات العربية المتحدة،2006، ص ص 548-549.

[93]سبنسر ويليام،المصدر السابق، ص ص 120-121 .

[94]ابو القاسم سعد الله ،**تاريخ الجزائر الثقافي** ، دار الغرب الإسلامي، ج1، ط1، الجزائر، 1998،، ص160-161.

[95]وليام شالر، المصدر السابق، ص67.

[96]سبنسر ويليام ،المصدر السابق ،ص 103.

[97] **اليطغان** :السيف الحاد من الجهتين ليكون أكثر فاعلية.ينظر:بن عتو بلبراوات، المرجع السابق، ص151.

[98]بن عتو بلبراوات، نظرات استشراقية لعادات وتقاليد مجتمع مدينة الجزائر- مدينة الجزائر- نموذجا، **مجلة الحوار المتوسطي**،جامعة سيدي بلعباس ،العدد 02، 2010،ص84.

[99]وليام شالر،المصدر السابق،ص83.

[100]سبنسر ويليام ،المصدر السابق ،ص106.

[101]المصدر نفسه ،ص107 .

[102] **سكوينات**: ذهب ايطالي تضرب منه العملة المتداولة في مختلف الدول الايطالية كما كان منتشرا في تركيا وايطاليا . ينظر:ويليام شالر، المصدر السابق، ص85.

[103]ويليام شالر، المصدر السابق، ص85-86.

[104]المصدر نفسه، ص ص 87-88.

[105]خوجة حمدان بن عثمان ،**المرآة (لمحة تاريخية وإحصائية على إيالة الجزائر)**، عربه وقدم له وعلق عليه وفهرسه الدكتور محمد بن عبد الكريم ،دار الوعي، الجزائر ،2017، ص ص 45،49.

[106] بن عتو بلبراوات ،المدينة والريف.....، المرجع السابق، ص140.

[107]خوجة حمدان بن عثمان، المصدر السابق، ص49.

[108]عبد الله بن محمد الشويهد، **قانون أسواق مدينة الجزائر**،تقديم وتحقيق وتعليق ناصر الدين سعيدوني، البصائر للنشر،الجزائر،2014 ،ص 54.

[109]ويليام شالر ،المصدر السابق، ص88.

[110]ج .أو.هبنسترايت ،المصدر السابق ،ص 47.

[111]ناصر الدين سعيدوني ،الحياة الريفية ....، المرجع السابق،ص 353.

[112]أ لسيور و ووبلد ، **رحلة طريفة في إيالة الجزائر**، تحقيق وتقديم وتعليق وترجمة محمد جيجلي، دار الأمة، ط3، الجزائر ،ص 10.

[113]سبنسر ويليام،المصدر السابق، ص113.

[114]بن عتو بلبراوات ،نظرات استشراقية ...، المرجع السابق،ص82.

[115]الشويهد عبد الله بن محمد، المصدر السابق، 2012، ص 53.

[116]المصدر نفسه ،ص 51.

[117]المصدر نفسه،ص52 ص81.

[118]ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص 113-114.

[119]ابو القاسم سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق،ص149.

[120]سهام بودية، المرجع السابق، ص 91.

[121]ناصر الدين سعيدوني، الأندلسيون....، المرجع السابق، ص 117.

[122]فوزي سعد الله ،**يهود الجزائر هؤلاء المجهولون**، دار الأمة، ط2، الجزائر، 2004، ص 139-140.

[123]المرجع نفسه، ص 141-142.

[124]ارزقي شويتام ،المرجع السابق ،ص 135.

[125]ويليام شالر، المصدر السابق، ص 91.

[126]فوزي سعد الله، المرجع السابق، ص 162.